

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين أما بعد :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر نسب النبي ﷺ إلى عدنان :

[فجميع قبائل العرب ينتسبون إلى من ذكرت من أبناء عدنان ، وقد بين ذلك الحافظ
أبو عمر النمري في كتاب "الإنباه بمعرفة قبائل الرواة " بياناً شافياً رحمه الله . وقريش
على قول أكثر أهل النسب هم الذين ينتسبون إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة
وأنشدوا في ذلك :

قصي لعمرى كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

وقيل : بل جماع قريش هو النضر بن كنانة ، وعليه أكثر العلماء والمحققين ، واستدل
على ذلك بالحديث الذي ذكره أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى عن الأشعث بن
قيس رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقلت : أستم منا يا رسول الله
؟ قال : ((لا ، نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أيينا)) . وقد رواه
ابن ماجه في سننه بإسناد حسن وفيه : ((فكان الأشعث يقول: لا أوتى برجل نفى
رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد)) . وقيل : إن جماع قريش إلياس
بن مضر بن نزار . وقيل : بل جماعهم أبوه مضر . وهما قولان لبعض أصحاب الشافعي
حكماهما أبو القاسم عبد الكريم الرافعي في شرحه وجهين وهما غريبان جداً . فأما قبائل
اليمن كحمير وحضرموت وسبأ وغير ذلك ؛ فأولئك من قحطان ليسوا من عدنان .

وقضاعة فيها ثلاثة أقوال ؛ قيل : إنها من العدنانية ، وقيل : قحطانية ، وقيل : بطن
ثالث لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وهو غريب ، حكاه أبو عمر وغيره [.

لما أنهى الحافظ الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ذكر نسب النبي عليه الصلاة والسلام إلى جده
العشرون عدنان قال: ((فجميع قبائل العرب ينتسبون إلى من ذكرت من أبناء عدنان))
؛ ومراده بقبائل العرب أي : العرب العدنانية ؛ الذين هم من نسله وذريته .

وابن كثير رحمه الله في النسب الذي ساقه فصّل في ذكر أبناء عدنان ، وفي كل جدّ من
أجداد النبي ﷺ يذكر إخوان ذلك الجد - سواء كانوا واحداً أو أكثر يذكرهم - وبهذا يُعلم
من خلال أنساب الأعلام والرجال ملتقاهم أولاً مع النبي عليه الصلاة والسلام في أي جد
من أجداده ، ثم انتهاء النسب في جميع هؤلاء العرب العدنانية إلى عدنان الجد العشرون للنبي
الكريم عليه الصلاة والسلام .

وقبل المواصلة في كلام ابن كثير رحمه الله أحب أن أنبه على عدة أمور تتعلق بما ساقه ابن
كثير رحمه الله ، وأيضاً الطريقة التي ساق فيها وتميز بها رحمه الله تعالى في كتابه الفصول ؛ في
ذكره لأجداد النبي عليه الصلاة والسلام :

■ فمن الأمور التي لاحظناها في ذكر النسب ونَبّه عليها ابن كثير رحمه الله : أن عدداً من
أجداد النبي عليه الصلاة والسلام اشتهروا بألقابهم دون الأسماء ، فمثلاً عبد المطلب لقب
وليس اسم ، وهاشم لقب وليس اسم ، وقصي أيضاً لقب وليس اسم ؛ والألقاب تدل
على معاني ، وعرفنا مثلاً : هاشم لُقّب بذلك لكرمه أيام الحُلّ والمجاعة في هشم الثريد مع
اللحم وتقديمه للناس في المجاعات .

■ أيضاً من الأمور التي تُلاحظ : عناية ابن كثير الدقيقة بذكره إخوان كل جدّ من أجداد
النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن فوائد ذلك : معرفة موضع الالتقاء مع النبي ﷺ في
نسبه الشريف الذي هو أشرف نسب .

■ الأمر الثالث مما أتته عليه : في ذكر أعمام النبي عليه الصلاة والسلام وهم إخوان والده عبد الله ؛ عدّد أسماء أعمامه وسقط من هذه النسخة العباس ابن عبد المطلب عم النبي صلوات الله وسلامه عليه ، ورضي الله عن العباس وعن الصحابة أجمعين .

■ كذلك مما أشير إليه : أن هذا النسب الذي ساقه إلى الجد العشرين من أجداد النبي عليه الصلاة والسلام موضع اتفاق بين أهل العلم ، وما بعده موضع خلاف ؛ سواء من عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام - ولا خلاف أن عدنان من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام كما سيأتي - ، وكذلك من بعد إبراهيم إلى آدم أيضاً هذا محل خلاف سواء في عدد الأجداد أو في تعيين أسماءهم ، ولهذا الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتابه الصحيح لما ساق نسب النبي عليه الصلاة والسلام اقتصر على ذكر هذا النسب المتفق عليه ؛ فذكر نسبه عليه الصلاة والسلام إلى عدنان ووقف ؛ لأن هذا موضع اتفاق بين أهل العلم ، وما بعد ذلك محل خلاف ، وسيذكر الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في فصل آتي نسب النبي عليه الصلاة والسلام من بعد عدنان ؛ وهو كما أشرت موضع خلاف بين أهل العلم .

من باب المعاونة على حفظ النسب : أخذتُ أتأمل في أجداد النبي عليه الصلاة والسلام من عبد المطلب إلى عدنان ، وقد جرت عادة كثير من أهل العلم تسهيل الحفظ مما قد يتفقت من الإنسان حفظه من أسماء أو أشياء من هذا القبيل ذكر حروف ترمز إلى أسماء أو أعلام أو نحو ذلك . فعدد الأجداد من عبد المطلب إلى عدنان عشرون جداً ، وأوائل الحروف لهؤلاء الأجداد جمعتها في كلمات أرجو أن تكون مساعدة على حفظ الأسماء فيما لو نسي الإنسان هل هذا مقدّم على ذاك أو نحوه ؛ ولا يلزم أن يكون ما تُجمع به الحروف يعطي معنى ؛ لكن أغلب الكلمات التي ذكرتها لها معاني في اللغة فقلت :

" عَهْ عَقُّكَ مُكَلٌّ غَفٌّ مِنْ كَخْمٍ مُنَمَّع "

"عِه" : فعل أمر من وَعَى يَعِي ؛ يقال: عِه يعني كن فاهماً لهذا الأمر أو عالماً به ، فهذه للانتباه ؛ أي عي هذا الأمر أو استوعب هذا الأمر أو افهمه . العين والهاء ترمز لـ : عبد المطلب بن هاشم .

"عَقَّكَ" من العقوق . وهي ترمز لـ : عبد مناف ، قصي ، وكلاب .

"مُكَلَّ" وهي ترمز لـ : مُرة ، وكعب ، ولؤي .

"غَفَّ" الغف : اليابس . وهي ترمز لـ : غالب ، وفهر .

"مِنْ" الذي هو حرف الجر يرمز لـ : مالك ابن النضر .

"كَحْمًا مُنَمَّعٍ" هذه لا معنى لها في اللغة ؛ لكنها كلمتين تسهّل في ضبط الأسماء مرتبة .

"كَحْمًا" ترمز لـ : كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس .

"مُنَمَّعٍ" ترمز لـ : مضر ابن نزار ابن معد ابن عدنان .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ((وقد بيّن ذلك الحافظ أبو عمر النمري في كتاب "الإنباه بمعرفة قبائل الرواة" بياناً شافياً رحمه الله)) ؛ أبو عمر النمري هو المشهور بابن عبد البر رحمه الله تعالى .

ثم حكى ابن كثير الخلاف في مَنْ مِنْ أجداد النبي عليه الصلاة والسلام تنسب إليه قریش ؟ فذكر في ذلك أقوال:

■ القول الأول : قال ((وقریش على قول أكثر أهل النسب هم الذين ينتسبون إلى فهر بن مالك)) وهو الجد العاشر للنبي عليه الصلاة والسلام . وعلى هذا القول فكل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده ليس قرشياً .

قال : ((وأنشدوا في ذلك : قصي لعمرى كان يُدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من
فهر))

"قصي" أي قصي ابن كلاب وهو الجد الرابع للنبي عليه الصلاة والسلام ، الشاهد من البيت
قوله "القبائل" أي قبائل قريش من فهر ؛ جمعهم إلى الحرم وكانوا متفرقين ، وقصي أيضاً كان
قاصياً بعيداً .

قال " يدعى مجمعا " أي من التجميع ؛ لأنه عمل على جمعهم إلى الحرم وهذا قول جماعة
من أهل العلم من النسابة كما أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله منهم مصعب الزبيري قال :
" كل من لم يُنسب إلى فهر فليس بقرشي " . والبيت الذي ساقه المؤلف نسبته الأزرقى في
أخبار مكة لحذيفة ابن غانم الجُمحي .

■ القول الثاني وهو الذي اختاره ابن كثير رحمه الله كما صرح بذلك في كتابه "البداية
والنهاية" : أن جماع قريش النضر بن كنانة ؛ وهو الجد الثاني عشر للنبي عليه الصلاة
والسلام ، قال : ((وعليه أكثر الفقهاء والمحققين)) وفي كتابه البداية والنهاية قال :
"على الصحيح " أي من أقوال أهل العلم أن جماع قريش هو النضر بن كنانة .

قال : ((واستدل على ذلك بالحديث الذي ذكره أبو عمر بن عبد البر رحمه الله عن
الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : قدمتُ على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقلت : أستم منا
يا رسول الله ؟ - أي من كندة - قال : ((لا ؛ نحنُ بنو النضرِ بنِ كِنَانَةَ ، لا نَقْفُوا أَمْنَا
وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِيْنَا)) ثم ذكر أن هذا الحديث ((قد رواه ابن ماجه في سننه بإسناد حسن
)) وهو كذلك مخرج في المسند للإمام أحمد وأورده العلامة الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة
الصحيحة برقم (٢٣٧٥) ، فهو حديث صحيح.

قال : ((نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أَمْنَا ولا ننتفى من أبينا)) نقفو : من قفا
الشيء أي تبعه ، ومنه قوله : ﴿ وَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي تتبع .

((لا نقفو أماناً ولا ننتفي من أينا)) قيل في معناه كما في النهاية لابن الأثير : " لا نترك النسب إلى الآباء ومنتسب إلى الأمهات " ، لا نترك النسب إلى الآباء هذا معنى قوله : ((ولا ننتفي من أينا)) ، ومنتسب إلى الأمهات هذا المراد بقوله : ((لا نقفو أماناً)) أي بالانتساب . فالانتساب للآباء وليس للأمهات ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] .
فهذا مما قيل في معنى الحديث ، وقيل غير ذلك .

قال : ((وفيه : فكان الأشعث - بن قيس رضي الله عنه - يقول : لا أوتي برجل نفى رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد)) على اعتبار أن الحديث واضح أن من كان من نسل النضر فهو قرشي .

ثم ذكر بن كثير رحمه الله قولين ضعيفين في جماع قريش فقال : ((وقيل : إن جماع قريش إلياس بن مضر بن نزار - وهو الجد السادس عشر - وقيل : بل جماعهم أبوه مضر)) وهو الجد السابع عشر مضر أخو ربيعة .

قال : ((وهما قولان لبعض أصحاب الشافعي حكاها أبو القاسم عبد الكريم الرافعي - المتوفى سنة ٦٢٣ - في شرحه)) ؛ لعل المراد بشرحه : « فتح العزيز في شرح الوجيز » .

قال : ((حكاها وجهين ، وهما وجهان غريبان جداً)) والمعروف من أقوال أهل العلم أن جماع قريش : إما فهر أو النضر . وابن كثير رحمه الله تعالى يقوي ويصحح أنه النضر بن كنانة .

ثم قال رحمه الله تعالى : ((فأما قبائل اليمن - أي عرب اليمن - كحمير وحضرموت وسبأ وغير ذلك ، فأولئك من قحطان ليسوا من عدنان)) ووضح ذلك في « البداية والنهاية » ؛ ذكر أن عند جماهير أهل العلم بالأنساب أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين :

قحطانية وعدنانية ؛ فالقحطانية شعبان : سبأ وحضرموت ، والعدنانية شعبان أيضاً : ربيعة ومضر . والشعب الخامس وهم قضاة مختلف فيهم .

قال : ((وقضاة فيها ثلاثة أقوال : قيل إنها من العدنانية)) وهو قول الأكثر ، وقد مر معنا في الجد الثامن عشر للنبي عليه الصلاة والسلام قال: "نزار أخي قضاة في قول أكثر أهل النسب " فعلى هذا القول - وهو قول أكثر أهل النسب - أن قضاة عدنانية ، وأن قضاة ابن لمعد بن عدنان .

((وقيل قحطانية)) قيل: أن قضاة قحطانية .

((وقيل : بطن ثالث لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وهو غريب ، حكاة أبو عمر - أي بن عبد البر - وغيره)) ؛ وكما ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله القول الأكثر لأهل العلم : أن قضاة من عدنان ، وأشار إلى ذلك رحمه الله تعالى قولاً لأكثر أهل العلم عند سياقه لنسب النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

ثم عقد فصلاً في نسبه ﷺ بعد عدنان فقال رحمه الله تعالى :

[فصل (ذكر نسبه ﷺ بعد عدنان) : فهذا النسب الذي سقناه إلى عدنان لا مرية فيه ولا نزاع ، وهو ثابت بالتواتر والإجماع ، وإنما الشأن فيما بعد ذلك ، لكن لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله ، وهو الذبيح على الصحيح من قولي الصحابة والأئمة ، وإسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه أفضل الصلاة والسلام . وقد اختلف في كم أب بينهما على أقوال : فأكثر ما قيل : أربعون أباً ، وأقل ما قيل : سبعة آباء ، وقيل : تسعة ، وقيل : خمسة عشر . ثم اختلف في أسمائهم . وقد كره بعض السلف والأئمة الانتساب إلى ما بعد عدنان ،

ويحكى عن مالك بن أنس الأصبحي الإمام رحمه الله أنه كره ذلك . قال الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتاب "الإنباه" : والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا : عدنان بن أدد ، بن مقوم بن ناحور بن تيرح ابن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح . وهو آزر بن ناحور بن شاروخ بن راعو بن فالخ بن عيبر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ . وهو إدريس النبي ﷺ فيما يزعمون ، والله أعلم . وهو أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث ، وأول من خط بالقلم ، بن يرد بن مهليل ابن قينن بن يانش بن شيث بن آدم ﷺ . هكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار المدني صاحب "السيرة النبوية" وغيره من علماء النسب . وقد نظم ذاك أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي المعتزلي في قصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وقد أوردها الإمام أبو عمر وشيخنا في تهذيبه ، وهي قصيدة بليغة أولها :

مدحت رسول الله أبغي بمدحه وفور حظوظي من كريم المآرب

مدحت امرأة فاق المديح موحداً بأوصافه عن مبعد ومقارب

فجميع قبائل العرب يجتمعون معه في عدنان ، ولهذا قال الله تعالى : { قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى } [الشورى: ٢٣] ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : " لم يكن بطن من قريش إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة" . وهو صفوة الله منهم كما رواه مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله اختار كنانة من ولد إسماعيل ثم اختار من كنانة قريشاً ، ثم اختار من قريش بني هاشم ، ثم اختارني من بني هاشم)) . وكذلك بنو إسرائيل أنبياءهم وغيرهم يجتمعون معه في إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، وهكذا أمر الله ﷻ بني إسرائيل على لسان موسى ﷺ ، وهو في التوراة كما ذكره غير واحد من

العلماء ممن جمع بشارات الأنبياء به ﷺ أن الله تعالى قال لهم ما معناه : ((سأقيم لكم من أولاد أخيكم نبياً كلكم يسمع له ، وأجعله عظيماً جداً)) [.

قال رحمه الله : ((فصل ؛ ذكر نسبه ﷺ بعد عدنان)) عرفنا أن نسب النبي عليه الصلاة والسلام إلى عدنان موضع اتفاق بين أهل العلم ولا خلاف في ذلك ، ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد : " إلى هاهنا - يعني إلى عدنان - معلوم الصحة متفق عليه بين النسّابين ولا خلاف فيه البتة ، وما فوق عدنان مختلف فيه " ؛ ما فوق عدنان من أجداد النبي عليه الصلاة والسلام - سواء ممن فوق عدنان إلى إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام ، أو من فوق إبراهيم إلى آدم عليه السلام - مختلف فيه من حيث العدد بين مقلّ ومستكثر كما سيأتي عند ابن كثير رحمه الله ، ومختلف فيه أيضاً من حيث تحديد الأسماء .

قال رحمه الله : ((وهذا النسب الذي سقناه إلى عدنان لا مرية فيه ولا نزاع ، وهو ثابت بالتواتر والإجماع)) أي تُجمع عليه بين أهل العلم ومتواتر نقله ولا خلاف فيه البتة .

قال : ((وإنما الشأن فيما بعد ذلك)) أي بعد عدنان إلى إسماعيل ، وكذلك من إبراهيم إلى آدم ؛ فهذا لا يعلم حقيقته إلا الله ﷻ .

قال : ((لكن لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله ، وهو الذبيح على الصحيح من قولي الصحابة والأئمة ، وإسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه أفضل الصلاة والسلام)) ؛ أيضاً هذا محل اتفاق ، أن عدنان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام لا خلاف في ذلك ، لكن ما أسماء أجداد النبي عليه الصلاة والسلام من بعد عدنان إلى إسماعيل ؟ وكم العدد ؟ هذا مختلف فيه .

قال رحمه الله : ((وهو الذبيح - أي إسماعيل - على الصحيح من قولي الصحابة والأئمة)) ؛ قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه زاد المعاد : " وهو - أي إسماعيل - الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً " وذكر رحمه الله تعالى بعضها ، قال : "وسمعتُ شيخنا شيخ الإسلام بن تيمية يقول : هذا القول - أي أنَّ الذبيح إسحاق وليس إسماعيل - إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنصِّ كتبهم " . ونقل ابن القيم شيئاً يبين ذلك ويشهد له .

قال : ((وقد اختلف في كم أبٍ بينهما على أقوال)) ؛ "بينهما" : أي بين عدنان وإسماعيل .

((فأكثر ما قيل أربعون أباً ، وأقل ما قيل سبعة آباء)) ؛ في البداية والنهاية قال : " وأقل ما قيل أربعة "

قال : ((وقيل : تسعة ، وقيل : خمسة عشر ، ثم اختلف في أسمائهم)) فيلاحظ هنا الخلاف من جهتين :

- من جهة العدد بين مقلِّ ومستكثر ؛ فرق بين أربعين وأربعة ، أو بين أربعين وسبعة .
- وأيضاً مختلف في تعيين الأسماء .

قال : ((وقد كره بعض السلف والأئمة الانتساب إلى ما بعد عدنان ، ويحكي عن مالك بن أنس الأصبحي الإمام رحمه الله أنه كره ذلك)) ؛ وجاء عن مالك رحمه الله أنه قال : " من أين له به ؟ " يعني من أين له بما يثبت ما يذكره من انتساب بعد عدنان ؟ ، وبعض السلف لم يكرهوا ذلك وذكروا الانتساب من بعد عدنان كما سيأتي فيما نقله الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

قال: ((قال الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتاب الإنباه)) ؛ مر معنا الكتاب قريباً
"الإنباه في قبائل الرواه".

قال: ((والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا : عدنان بن أدد بن مقوم..
((ثم ذكر باقي النسب . قوله في أثناء ذكر النسب : ((شاروخ بن راعو بن فالخ)) كذا
في الأصول ، وجاء في البداية لابن كثير قال : " ابن ساروغ - بالغين - بن راغو - بالغين -
بن فالغ - أيضاً بالغين - " .

وقوله عن خنوخ : ((وهو إدريس النبي ﷺ فيما يزعمون ، والله أعلم ، وهو أول بني
آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث ، وأول من خط بالقلم)) ؛ وهذا يروى فيه حديث لا
يثبت رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وكتاب نوادر الأصول للحكيم الترمذي مظنة
للأحاديث الضعيفة ، والألباني رحمه الله أورد الحديث في السلسلة الضعيفة برقم (١٩٣٦)
وقال : " ضعيف جداً " .

لما ذكر هذا النسب قال : ((هكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار المدني صاحب السيرة
النبوية ، وغيره من علماء النسب)) ؛ وعلى كلِّ عرفنا أن هذا موضع خلاف بين أهل
العلم ، ومن أئمة السلف من كره الانتساب بعد عدنان ؛ لأنه ليس هناك أشياء بيّنة يبنى
عليها ، بخلاف إلى عدنان فإنه ثابت بالتواتر والإجماع كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله تعالى

ثم قال : ((وقد نظم ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي المعتزلي في قصيدة يمدح
فيها رسول الله ﷺ)) ؛ أبو العباس الناشي : هذا من أعيان وعلماء المعتزلة ، لما ترجم له
الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام قال: "وهو من المعتزلة الأرعاء" . والمعتزلة : فرقة من كبار
فرق الضلال والانحراف ولاسيما في باب الاعتقاد ؛ الإيمان بالله والإيمان بقدّره وأمور الإيمان
، ولهم في ذلك ضلالات وأباطيل مبنية على بُعد القوم عن كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه

ﷺ وتعظيمهم للعقول وتقديمهم لها على كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا وقعوا في انحرافات كثيرة جداً في باب الاعتقاد ، وأيضاً هم أنفسهم وقعوا في خلافات طويلة جداً ، لأن المقدم عندهم العقل والعقول ليست متفوقة ! فلما كان العقل عندهم هو المقدم تباينت آراءهم لتباين عقولهم ، ولقد أحسن من قال من السلف : " لو كانت الأهواء هوئى واحداً لقليل إنه الحق " ، كذلك يقال : لو كانت العقول عقلاً واحداً ؛ لكن العقول متفاوتة !! ولهذا بعض السلف في إنكاره على هؤلاء في تقديم العقل قال : " إذا كان العقل مقدّم ؛ عقل من ؟ " ، لو كان العقل مقدّمًا لضاع الناس لأن العقول متفاوتة ليست عقلاً واحداً بل بينها تفاوت عظيم وتباين شاسع .

فأبو العباس الناشي - وهو من المعتزلة وله من أباطيل المعتزلة وأضاليلهم الشيء الكثير ، وأهل العلم في ردّهم على المعتزلة يذكرون بعض أقواله الباطلة ويناقشونها ويبينون ما فيها من بطلان - له قصيدة تتكون من سبعة وسبعين بيتاً ساقها بتمامها أبو عمر بن عبد البر ، كما ذكر الحافظ ابن كثير ، قال : ((وقد أوردتها الإمام أبو عمر ، وشيخنا في تهذيبه)) ؛ "شيخنا" : أي المزني ، والمراد بتهذيبه أي كتابه « تهذيب الكمال » ، وهو كتاب مطبوع ومعروف عند طلاب العلم .

قال : ((وهي قصيدة بليغة)) ؛ هكذا وصفها ابن كثير ، وأيضاً ابن كثير رحمه الله تعالى ساق القصيدة بتمامها في كتابه البداية والنهاية ومدحها ، وصدرها قوله :

مدحتُ رسول الله أبغي بمدحه وفور حظوظي من كريم المآرب

وما من شك أن كريم المآرب - وفي بعض النسخ المواهب - تُنال بالإخلاص للمعبود ﷺ والطاعة للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . وتحصيل وفور الحظ - أي الحظ الوافر - والنصيب من المواهب الربانية والعطايا الإلهية والمنح من الله ﷻ بسياق مدح للنبي ﷺ يُذكر

فيه نسبه عليه الصلاة والسلام ؛ إن سلّم من المغالاة فهذا وحده ليس كافياً ، بل هذا باب لا بد فيه من إخلاص للمعبود ومتابعة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

والقصيدة ذكر فيها أسماء أجداد النبي عليه الصلاة والسلام إلى آدم ، وكل جد من أجداده يذكر له بعض الصفات ، وعرفنا أن عدد الأجداد مختلف فيه قلة وكثرة ، والأسماء مختلف فيها أيضاً قلة وكثرة ، فذكر ذلك مبني على أمر كرهه بعض السلف وهو الانتساب من بعد عدنان ؛ فضلاً عن أن يُذكر صفة أو صفات ومدائح لكل جد من أجداد النبي عليه الصلاة والسلام إلى آدم .

وعلى كل حال من ناحية علمية مؤصّلة ؛ نسب النبي عليه الصلاة والسلام إلى عدنان ثابت لا ريب فيه ، وما بعد ذلك من ذكر للأسماء موضع خلاف ، وذكر للأوصاف والأعمال أو نحو ذلك هذا أيضاً محل نظر من باب أولى .

قال : ((فجميع قبائل العرب يجتمعون معه - أي مع النبي عليه الصلاة والسلام - في عدنان ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : " لم يكن بطن من قريش إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة ")) : أي يجتمع معهم في أحد أجداده صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا خاطبهم هذا الخطاب الذي يشمل قريش ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾

قال رحمه الله : ((وهو صفوة الله منهم)) : أي من قريش . ونسبه عليه الصلاة والسلام هو أشرف نسب وأفضله على الإطلاق . قال ابن القيم رحمه الله : " وهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق ، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة ، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك " أي يشهدون له بأن نسبه عليه الصلاة والسلام أشرف نسب ؛ ومنهم أبو سفيان قبل إسلامه عند هرقل شهد له بذلك وكان وقتها من أعداء النبي صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((وهو صفوة الله منهم كما رواه مسلم في صحيحه " عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله اختار كنانة من ولد إسماعيل)) ؛ كنانة : الجد الثالث عشر للنبي عليه الصلاة والسلام ((ثم اختار من كنانة قريشاً)) ؛ إما أن المراد : النضر ونسله ، أو المراد : فهر ونسله ، وهم من يقال لهم قريش . لأن قريشاً في أصح أقوال أهل العلم : إما النضر وهو ابن كنانة الأقرب ، أو فهر ابن مالك ابن النضر وهو الحفيد الثاني لكنانة .

((ثم اختار من قريش بني هاشم)) ؛ وهو الجد الثاني للنبي عليه الصلاة والسلام .

((ثم اختارني من بني هاشم)) .

قال : ((وكذلك بنو إسرائيل أنبياءهم وغيرهم يجتمعون معه - أي مع النبي عليه الصلاة والسلام- في إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب)) ؛ كما قال الله ﻋَﻠَﻴْﻪَ ﺍﻟﺴَّلَامُ : ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] فبنو إسرائيل أنبياءهم وغيرهم يلتقون مع نبينا عليه الصلاة والسلام في إبراهيم الخليل عليه السلام .

قال : ((وهكذا أمر الله سبحانه بني إسرائيل على لسان موسى ﷺ وهو في التوراة كما ذكره غير واحد من العلماء ممن جمع بشارات الأنبياء به ﷺ ، أن الله تعالى قال لهم ما معناه : "سأقيم لكم من أولاد أخيكم - أخوهم : إسماعيل- نبياً كلكم يسمع له ، وأجعله عظيماً جداً ")) أي نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه .

واختيار النبي عليه الصلاة والسلام من أشرف نسب على الإطلاق لاشك أن له حكمة ، وأهل العلم تلمسوا في ذلك حكماً ، ومن ذلك :

- أن كونه ﷺ من أشرف نسب يكون سبباً لحمايته ونصرته من قبيلته التي لها مكانتها ولها وزنها ولها ثقلها ، وهذا أيضاً ما حصل ؛ فقبيلة النبي عليه الصلاة والسلام قاموا بنصرته وحمايته والذب عنه ، فكانت الناس تحاب أن تعتدي على النبي ﷺ من هيبة قبيلته .
- وكذلك مما ذكر من الحكم : أن العرب لا تسمع ولا تطيع إلا لمن كان له شرف ومكانة في النسب .

قال رحمه الله :

[ولم يولد من بني إسماعيل أعظم من محمد ﷺ ، بل لم يولد من بني آدم أحد ولا يولد إلى قيام الساعة أعظم منه ﷺ ، فقد صحَّ أنه قال : ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم فمن دونه من الأنبياء تحت لوائي)) وصح عنه أنه قال : ((سأقوم مقاماً يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم)) وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله تعالى ، وهو الشفاعة العظمى التي يشفع في الخلائق كلهم ، ليرجمهم الله بالفصل بينهم من مقام المحشر كما جاء مفسراً في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ . وأمه ﷺ : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة] .

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى فضل النبي عليه الصلاة والسلام وأنه ﷺ أفضل ولد آدم على الإطلاق وسيد ولد آدم أجمعين . قال : ((ولم يولد من بني إسماعيل أعظم من محمد ﷺ ، بل لم يولد من بني آدم أحد ولا يولد إلى قيام الساعة أعظم منه ﷺ)) ؛ فهو أفضل عباد الله أجمعين وسيد ولد آدم أجمعين صلوات الله وسلامه عليه . وذكر - رحمه الله - دليلين على ذلك :

❖ الدليل الأول : قال ((فقد صح عنه ﷺ أنه قال : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم - أبو البشر - فمن دونه من الأنبياء تحت لوائي »)) وهذا الحديث في السنن

والمسند للإمام أحمد وغيرهما من مصادر السنة ؛ يروى من حديث أبي سعيد وابن عباس وغيرهما ، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة بلفظ: ((أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) وله تنمة تتعلق بالشفاعة .

❖ قال: ((وضح عنه أنه قال : «سأقوم مقاماً يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم» ؛ وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي ابن كعب .

وقوله ((حتى إبراهيم)) فيه دلالة على أن إبراهيم أفضل الأنبياء بعد نبينا صلوات الله وسلامه عليه ؛ وهو من أولي العزم من الرسل وهم خمسة أفضلهم محمد ﷺ ، ثم يليه في الفضل إبراهيم الخليل عليه السلام أبو الأنبياء و خليل الرحمن ، والله ﷻ اتخذ نبينا ﷺ خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ؛ فهو خليل الرحمن عليه وعلى نبينا وعلى جميع النبيين الصلاة والسلام .

قال : ((وهذا هو المقام المحمود)) ؛ الإشارة في قوله: "هذا" إلى قوله في الحديث : ((سأقوم مقاماً)) فالمراد بالمقام أي المقام المحمود ، قال الله تعالى : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] . والمقام هو مقام الشفاعة العظمى ، لأن الشفاعات التي تكون يوم القيامة متنوعة ومتعددة . والشفاعة العظمى هي التي إليها أشار هنا بقوله : ((وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله تعالى)) أي في قوله : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ هذا وعد من الله ﷻ لنبيه عليه الصلاة والسلام ، وكل عسى في القرآن فهي واجبة.

قال : ((وهو الشفاعة العظمى التي يشفع في الخلائق كلهم ، ليرجهم الله بالفصل بينهم من مقام المحشر ، كما جاء مفسراً في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ)) ؛ وذلك أن الناس يوم القيامة يقفون على أرض المحشر ؛ وهي أرض مستوية منبسطة لا انخفاض فيها ولا ارتفاع ، تدنو فيها الشمس من الخلائق قيد ميل ؛ تكون قريبة جداً ، ولا يوجد ظل إلا ظل عرش

الرحمن لمن يكرمهم الله ﷻ في ذلك اليوم بظله يوم لا ظل إلا ظله، يقفون يوماً مقداره خمسين ألف سنة ، ماذا يقارن هذا اليوم الذي هذه مدته وهذا طوله بحياة الإنسان في الدنيا !! كم هي حياتك أيها الإنسان في الدنيا ؟ ستين سنة !! سبعين سنة !! مئة !! ماذا تقارن مئة سنة بيوم مقداره خمسين ألف سنة !! وكثير من الخلق يغفلون عن هذا اليوم في هذه المدة التي تعتبر وجيزة جداً مقارنة بذلك اليوم العظيم .

فيقف الناس ذلك الموقف العظيم ويصيبهم من النصب والتعب والشدة والهول والكره ما الله ﷻ به عليم ؛ فيذهبون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة عند الله بأن يبدأ في فصل القضاء ، فيذهبون إلى آدم ﷺ فيعتذر ويحيلهم إلى نوح يقول : اذهبوا إلى نوح ؛ فيذهبون إلى نوح ﷺ ويعتذر ويحيلهم إلى إبراهيم ويعتذر ، ويحيلهم إلى موسى فيعتذر ، ويحيلهم إلى عيسى فيعتذر ، وعيسى ﷺ يحيلهم إلى محمد ﷺ فيقول عليه الصلاة والسلام: " أنا لها " ؛ فيذهب ويخر ساجداً يسجد تحت عرش الرحمن ويحمد الله ﷻ بمحامد ويثني على الله ﷻ بثناء يعلمه الله إياه في ذلك الوقت ثم يقول له الرب ﷻ : " ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع " ، ثم يجيء الرب ﷻ للفصل بين الخلائق كما قال جل وعلا في سورة الفجر : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ (٢٢) وَجِيءَ يَوْمُئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) ﴾ ؛ الملائكة صفوف من وراء صفوف مطوّقة بالخلائق ، والناس في أرض المحشر ، ويجيء الرب ﷻ للفصل بين الخلائق ؛ فهذا المقام المحمود الذي يغبطه صلوات الله وسلامه عليه النبيون .

قال : ((وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله تعالى وهو الشفاعة العظمى التي يشفع في الخلائق كلهم ليرحمهم الله بالفصل بينهم من مقام المحشر كما جاء مفسراً في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ)) أي في البخاري ومسلم وغيرهما من دواوين السنة .

ثم ختم رحمه الله هذا الفصل بقوله : ((وأمه ﷺ : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة))؛ كلاب : هو الجد الخامس لنبينا صلوات الله وسلامه عليه كما سبق الإشارة إلى ذلك .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

* * *